حوار مع الصحفية المعروفة

دريّة محمد علي عوني

أجرى الحوار
حسين أحمد الجاف

ذات مرة كتب صحفي أجنبي عن إحدى ثورات العالم الثالث ساخراً . . : – إن كوادر الخط الأول لتلك الثورة لم يقرأوا كتاباً واحداً . . أو حتى لا يعرفون شيئاً عن واحد من أشهر رموزهم التاريخية ! ! ! . . . ثم أضاف ذلك الصحفي قائلاً : إن ناساً بمثل هذا الفراغ الروحي والتراثي لا يمكن أن يحققوا لشعبهم شيئاً .) . . وتحققت نبوءة ذلك الصحفي . . . ولم يحقق هؤلاء لشعبهم شيئاً . لذلك فأن الوعي بالتاريخ ضرورة والأعتبار بأحداثه والتخطيط على ضوء أستقرائه من قبلنا ضرورة كبيرة جداً ومن هنا كان الأهتمام بالرموز التاريخية في مجالات الثقافة والسياسة والأدب والفن والعلوم شيئاً يصل الى مرتبة (الفرائض) التي لا مناص من الالتزام بها والتقيد بطقوسها بالنسبة للشعوب كافة ودون أستثناء بشكل خاص تلك التي ما تزال تعاني من كوابيس التخلف والمرض والجهل وعدم سنوح الفرصة لها لتحقيق ما تصبوا إليه على صعيد الكينونة . . ولربما كانت هذه الكلمات القليلة تمهيداً بسيطاً للدخول الى ذلك الحوار الشيق الذي أجريناه مع الصحفية العالمية (دريه عوني) كريمة المؤرخ والكاتب الكردي الشهير الراحل (محمد علي عوني) مترجم كتاب (كرد وكردستان) الى اللغة العربية وصاحب التآليف العديدة في مجالات التراث والتاريخ الكرديين كانت دريه عوني قد زارت العراق بدعوة من وزارة الاعلام بالجمهورية العراقية لشهود وقائع مهرجان المربد المنعقد في بغداد في الفترة بين ١٩٨٥/١١/٢٦ الى ١٩٨٥/١٢/٣ . . . أقول إن هذه الصحفية العالمية اللأمعة والتي تعتبر واحدة من أبرز العاملين المعروفين في (وكالة فرانس بريس) وكالة الأنباء الفرنسية ، تتقن اللغات العربية والفرنسية والأنكليزية . . وتعرف بعض ما تستطيع التفاهم من لغة قومها الكرد ، هي من مواليد القاهرة . . . وتحمل شهادة بكالوريوس في علم الأقتصاد وتمارس الصحافة والترجمة منذ ما يربو على ربع قرن والتي سبق أن قرأنا لها رسالة أوربا في مجلات المصور وأخر ساعة وغيرها . . . والتقت بالعديد من مشاهير وساسة العالم من ذوي الدور المؤثر في مسيرة الأحداث والشؤون الدولية . وللوقوف على بعض الجوانب الخفية من حياة أبيها الراحل وذكرياتها عنه . أجرينا معها هذا اللقاء . في البداية قلت لها : – مدام دريه . . . نريد أن تعرفي قراءنا بنفسك فقالت : دريه محمد علي عوني . . من مواليد القاهرة . . أنا كردية مصرية عراقية . . أحب قومي الكرد . . وأعشق أرض الكنانة لأنها بلدي وأعتز بالعراق لأنه بلد أبناء عمومتي وأحبابي . . أعمل منذ أكثر من عقدين من الزمن . بالصحافة الفرنسية والعربية (المصرية) منها بالذات . . كانت أهتماماتي الأولى سياسية وفي الوقت الحاضر إقتصادية لأن أصل السياسة هو الأقتصاد كما أنني أعكف ومنذ فترة طويلة على تأليف كتابين عن الأدب . . أرجو أن يريا النور في غضون الأشهر القليلة القادمة .

– هلا حدثتينا عن ذكرياتكِ عن الوالد الكريم ؟

– منذ فتحت أبصاري عليه كان كل همه أن يخدم الكرد في المجالات الثقافية بحيث صارت كردستان هي همه الأكبر . . وكانت نظريته السياسية تقول إن المناخات السياسية يومئذ ليس صالحة لأية تطورات لذلك فأن التركيز على أبراز الهوية الكردية

من خلال تثبيت الثقافة الكردية ، يأتي في طليعة الاولويات لأن الجهل عدو كبير . وإن التثقيف والتنوير والوعي بالتراث القومي لشعبنا الكردي ضرورة كبيرة .

ثم أسترسلت بالقول وهي تضحك : – مرة كنت صغيرة جداً قلت لأبي : – هل أحببت في حياتك ؟ قال : نعم . . واحدة قلت له : – واحدة غير ماما ؟ قال : – نعم واحدة غيرها . قلت له باللهجة المصرية : – مين ؟ قال : وطني . فهو أبداً في القلب والذاكرة والفؤاد . وهكذا كانت كلمتا (كرد) و (كردستان) على شفتيه أبداً . . يتمتم بهما دائماً في شبه صلاة اعتزازاً وتقديساً ومحبة . وأنا في باريس الآن أسير على ما علمني الوالد الراحل من مبادئ ، أحب قومي ووطني وأقف بجانب كل الشعوب المضطهدة في قضاياها . . فما بال شعبنا نفسه ثم قالت : – كلما تذكرت ما قام به الرواد الأوائل من رموز الثقافة الكردية كـ (آل بدر خان) و (محمد أمين زكي) و (محمد علي عوني) ، أنحني إجلالاً أمام ذكراهم لما قاموا به من جلائل الأعمال في مجال الثقافة والتاريخ والصحافة بالنسبة لشعبهم . . فبدون مصادر كثيرة وبدون بنك للمعلومات وبدون وسائل التوثيق الأخرى قدموا أعمالاً رائعة في هذا المضمار . وبينما والست دريه عوني تروى لنا ذكرياتها ، ومضى في بالها شيء جديد وقالت لي بلهجتها المصرية الجميلة . . بأقولك إيه . . . مرة ذهبت لأجراء لقاء صحفي مع المستشرق الفرنسي المشهور (ماكيم رودينسون) . . وفي نهاية الحديث قال لي فجأة : أسمك دريه عوني إن هذا الأسم يذكرني بأنسان في منتهى العظمة أسمه محمد علي عوني حيث كان على فراش المرض في (فيشى) فبدلاً من أن يستريح ويسترخي في فراشه كان كل يوم يغادر فراشه ويذهب الى المكتبة الوطنية فيكتب ويكتب ويستنسخ فكنت أمُر به وأنا مشفق عليه أن يموت وهو مريض بالسكر ، حيث ترك العلاج في باريس ليكتب . وعندما قلت لمحمد علي عوني : ماذا تعمل يا رجل ؟ . . . أنت مريض أخلد الى الراحة . فكان جوابه : هذه كتب قيمة عن الكرد وتزخر بمعلومات ممتازة عن شعب . . يجب أن لا تضيع .

(بيتنا كان مضيفاً دائماً للكرد)

كان بيتنا يشكل مضيفاً لزوار من كردستان تركيا والعراق وأيران وكان والدي يقيم ما يشبه المأدبة ظهر كل يوم جمعة . . وكان الكرد الزائرون أو المتواجدون في مصر يزورونه في صبيحة الجمعة ويبقون عندنا الى نهاية النهار تقريباً . . فكان الزائرون خليطاً من الفقراء وأبناء البرجوازية الكردية . وكان يجلس الفقراء الى جانب أبناء الطبقة البرجوازية . على نفس المائدة لتناول الطعام الذي كانت تقدمه لهم والدتي بنفسها (بالرغم من كون والدي رجلاً شديد المحافظة) . . فكان يحرص على أن يكرم ضيوفه الكرد تكريماً خاصاً وبما أن والدتي كانت أرستقراطية المنشأ ومنحدرة من عائلة (الرفاعي) البرجوازية ، فقد كان يؤلمها المظهر الرث لبعض الضيوف الذين كان زوجها يحرص على أن تخدمهم وتقدم الطعام اليهم بنفسها . . لذلك قالت له مرة : – لماذا لا تدعو هؤلاء الفقراء الى بعض المطاعم وتكفينا عن الأنشغال بضيافتهم في البيت عندنا . .) فغضب الوالد منها وقال لأمي . . أن هؤلاء الفقراء الكرد أولى عندي من أبناء البرجوازيه الكردية .

ثم أستمر يدعو الجميع على جمعه في بيتنا . . . فتأقلمت الوالدة سليلة العائلة البرجوازية على تلك الحالة . . وأخذت تسهر على راحة ضيوف زوجها .

وروت لنا مدام نجم الدين عوني التي حضرت لقاءنا هذا عن لسان الشيخ عمر وجدي حيث قص لها شخصياً عن مؤرخنا الراحل الحادثة التالية : –

إنه لما كان الشيخ عمر وجدي (وهو من الأكراد المعروفين في مصر) طالباً في الازهر الشريف ، وفي رواق الاكراد بالذات وهو زاوية مخصصة للطلبة الكرد الوافدين من كافة أنحاء المنطقة الكردية منذ أيام السلطان الكردي الشهير صلاح الدين الأيوبي ولحد يومنا هذا . . . وبالمناسبة فأن لمصر دور عظيم في خدمة الثقافة الكردية والمثقفين الكرد . . حيث تصرف الحكومة المصرية على الطلبة الكرد الذين يحدون في الرواق المذكور السكن والعناية ، وبعد هذا الأستطراد – والكلام ما زال لمدام نجم الدين عوني – أقول أن الشيخ عمر وجدي كان يتلقى كل شهر مظروفاً فيه مبلغاً لا بأس به من المال من شخص مجهول .

وبعد سنوات عرف إن الذي كان يبعث له بذلك المال هو المؤرخ محمد علي عوني نفسه . . . فبالرغم من محدودية دخله ، حيث لم يكن يملك أطياناً ولا عمارات ، كان لا يقصر في خدمة إبناء شعبه مادياً ومعنوياً .

شجاعة محمد علي عوني

كان محمد علي عوني رئيساً لقسم الوثائق والمخطوطات التركية في السرايات الملكية أيام الملك فاروق . وكان والدي – والقول لدريه عوني – يرفض أن يكون لنا في البيت جهاز تلفون . . وعندما كان الملك يطلبه لشأن من شؤونه كان يبعث إليه بأحد مرافقيه الذين كانوا يستخدمون الدراجات البخارية في تنقلاتهم . . وفي أحد الأيام جاءنا واحد من المرافقين على عجل وأبلغ والدي بأن الملك يريده حالاً ولشأن هام . وكنا قد تصورنا بأن يطلبه لترجمة بعض المخطوطات التركية التي عصى عليه فهمها . غير أنه عاد من السرايا الملكية وعلامات التأثر والألم باديةٌ على وجهه . . ويبدو أنه كان قد دخل نوعاً من الجدال مع الملك ، بعد أن طلب الى محمد علي عوني أن يثبت له وبوثائق صحيحة أو غير صحيحة بأنه من سلالة النبي العربي العظيم محمد (ص) فقال له محمد علي عوني عفواً . . سيدي جلالة الملك ، حين أقول لك أنه لا صلة نسب لك بالنبي العربي العظيم محمد (ص) . . فأنت كما تعرف ويعرف الجميع . . من أصل الباني . . فضلاً عن ذلك أن أمك الملكة نازلي هي من سلالة سليمان باشا الفرنساوي (الفرنسي الأصل) وليس ثمة صلة تربطك بالنبي العربي القرشي .

فأجابه فاروق بغضب شديد : – ليس مهما ما تقول . . المهم أن تنقب والوثائق التي بحوزتك . . وحتى لو لم تجد الوثائق التي تؤيد هذا الأنتساب حاول أن تثبت ذلك بوثائق تبتدعها أنت . أنا أريد هذا النسب لأثبات حقي في مسألة خلافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها غير أن محمد علي عوني لم يؤيده في دعواه . . وترك السرايا ومعه بعض الوثائق القديمة ثم منحه الملك مهلة لأداء تلك المهمة . . . وبعد إنقضاء المهلة ، عاد إليه محمد علي عوني قائلاً : – لم أجد في التاريخ العربي والأسلامي أي خيط يشدك الى سلالة النبي الكريم . . كما أني لا أستطيع أن أزيف الحقيقة . . فالرجاء أن تعفيني عن هذه المهمة . . .) . فغضب فاروق عليه وأمر بقطع كافة المخصصات الأضافية عنه . غير أنه أقولها للتاريخ إكتفى بذلك . . ولم يفصل أبي من الخدمة في قسم الوثائق الملكية . . ثم التقى الملك فاروق بشيخ الأزهر يومئذ ، فأصدر له الفتوى المطلوبة فمنحه الملك ألف فدان من أخصب الأراضي الزراعية في مصر . . أصبح على أثر ذلك واحداً من أثرياء مصر . . وقبل وفاته بأقل من شهر وبينما كان على فراش مرضه الذي أودى بحياته فيما بعد ، كنا في الأسكندرية . وكنا نسمع خطبة الجمعة في جامع (لوران) القريب منا ، حيث كان خطيب الجمعة يخطب لأمير المؤمنين فاروق وكان وضعنا المالي صعباً . . وحالة والدي الصحية متدهورة . . فالتفتُّ نحو والدي وقلت له يا بابا . . . ماذا كان سيحدث لو أيدت فاروق في ادعائه بالسيادة والأنتساب لمن يريد . أنظر كيف أصبح ذلك الرجل مليونيراً . . نتيجة فتواه – أقصد شيخ الأزهر – بينما نحن الآن في حالة يرثى لها . .

فأنتفض من مكانه مذعوراً ليقول لي : لا . . لا تقولي هذا يا بنيتي . . كيف تريدني أن أعيش بضمير معذب . الغنى هو غنى النفس وراحة الضمير فوق كل شيْ . . والغنى حالة زائلة . فمن يدري . . فربما يحدث شيْ ما في هذا البلد ، فيذهب كل شيْ على حين غرّه ، ويأخذ من الرجل صاحب الفتوى كل شيْ . **قلت : – هل تعني أنه سوف تحدث في مصر ثورة ؟ . . وهل عندك أية معلومات عنها . ؟ قال : – لا . . ولكن أن السيل بلغ الزبى . . ولربما تحدث الهزة الموعودة عن قريب .**

وبعد أيام قليلة ، لأن الحديث هذا كان في أوائل تموز ، ووفاته كانت في ١١ تموز ١٩٥٢ . . . أقول وبعد أيام قليلة حدثت ثورة ٢٣ يوليو . . . وسحب من صاحبه الفتوى كل شيْ بل وساقته الثورة الى المحاكم . . بينما قيمت الثورة الموقف الأخلاقي والفكري لمحمد علي عوني . . فأصدر مجلس قيادة الثورة له نعيا جديداً نشر في الصحف . . أعد ذلك النعي شرف موقف محمد علي عوني من ادعاءات فاروق الزائف مثلما ثمنت الثورة شجاعته في الدفاع عن مبادئه . ثم خصصت لعائلته راتباً تقاعدياً محترماً بالرغم من كونه موظفاً في السرايا الملكية . . في

وقت كان كل منتسبي تلك السرايا يساقون الى المحاكم أو يفصلون من وظائفهم بسبب جرائم وأنتهاكات أو مخالفات إرتكبوها أو حتى لمجرد كونهم من العاملين في دوائر القصر الملكي .

ثم سألتها . . وكم من اللغات كان الراحل محمد علي عوني يتقن ؟ فأجابت

: - كان يعرف اللغة الكردية بلهجاتها الرئيسية . . وقد تعلم اللهجة السورانية لترجمة كتاب (تاريخ الكرد وكردستان لمؤلفه العلامة محمد أمين زكي الى اللغة العربية . . . . . كما تعلم الفارسية كي يترجم (الشرفنامه) الى العربية . . وقد لا أذيع سراً حين أقول بأن والدي كان قد أشرف على تعليم الأميرة فوزية شقيقة فاروق اللغة الفارسية عند زواجها من الشاه السابق محمد رضا بهلوى في أواخر الثلاثينات . . وفضلاً عن إتقانه عن الكردية بلجهاتها الرئيسية واللغة العربية واللغة التركية كان يتقن الأنكليزية والفرنسية أيضاً .

وعن مؤلفات محمد علي عوني الأخرى سألتها . فكان جوابها ؟

لمحمد علي عوني مؤلفات أخرى كثيرة غير مطبوعة أهمها قاموس كردي - عربي - تركي غير مطبوع ويوجد الأن بحوزة «السيد» (آزاد نجم الدين عوني) (الذي كان يجلس معنا أثناء أجراء هذا الحوار) . . فضلاً عن كتب صغيرة أخرى مخطوطة . وقد صدر له بعد وفاته الجزء الثاني للشرفنامه) والذي قدم له الدكتور يحيى الخشاب ، زوج الدكتوره سهير القلماوي المنحدره هي الأخرى من عائلة كردية عريقة .

وسألت الصحفية المرموقة دريه عوني عن باقي أفراد أسرة محمد علي عوني فأجابت : -

لمحمد علي عوني ولدان . . وكلاهما مهندسان معروفان . . صلاح الدين عوني وهو مهندس مهاري معروف في القاهرة والثاني عصام الدين عوني وهو مهندس ميكانيكي ومن أشهر خبراء الحديد والصلب في العالم . . وكان يعمل خبيراً للجامعة العربية في الجزائر لفترة طويلة .

- أبناء أخوتي يحلمون بزيارة كردستان منطقة الأباء والجدود تلك المنطقة التي تعبق بأمجاد التاريخ وسحر الطبيعة . وبالمناسبة فأن زوجة عصام الدين أخي أنكليزية .

وعن أشهر العوائل الكردية في مصر قالت : -

هناك عوائل كثيرة في أرض الكنانة تحمل لقب الكردي . . من أشهرها العائلة التيمورية وعائلة الخربوطلي ، وآل بدر خان . . أقصد عائلة المخرج السينمائي المعروف الراحل أحمد بدر خان وولده المخرج المبدع علي بدر خان وبغض النظر عن أتجاهاتهم السياسية والمهنية . . فأن آل بدر خان لا يعتزون بكرديتهم فحسب وأنما بكونهم امراء للكرد أيضاً .

- وماذا عن باريس التي تعملين فيها ؟

- الحقيقة أن مدينة العلم والحضارة رائعة في كل شيء ، وخاصة في طروحاتها العلمية والأدبية والثقافية والفنية غير أن الذي أريد أن أقوله لكم هو أخبار ذلك التشييع الجماهيري الحافل على مختلف الأصعدة الرسمية والثقافية والفنية الذي جرى لجنازة المخرج الكردي العالمي المبدع «يلماز كوناي» الذي عكس أجواء القرية الكردية وتقاليدها الشعبية وظروفها القاسية ومعاناتها على أيدي الأقطاع ووكلائه ودوائر السلطة في جنوب الاناضول إن هذا الفنان العالمي الذي ذوى وهو في قمة عطائه الفني ، والذي لم ينسَ شعبه وهو في أوج تألقه الفني في عالم السينما ، أقول أن التشييع الذي أجرى له ، لم تشهد باريس له مثيلاً الا عندما شيعت أيديث بياف المغنية العالمية الشهيرة ، حيث خرجت باريس كلها شيباً وشباناً نساءاً ورجالاً وأطفالاً لتوديع الفنان الكردي العالمي الراحل يلماز كوناي .

وفي ختام لقائنا بصحفيتنا الشهيرة (دريه عوني) ، شكرنا لها أتاحتها الفرصة هذه لنا لأجراء هذا الحوار الشيق راجين لها كل خير وموفقية ونأمل أن نلتقي بها في لقاءات قادمة ، لنطلع على ذكريات أخرى عن والدها ، وعن الأجواء الثقافية الكردية في مصر الشقيقة ، والتي ترعرعت دريه عوني في أحضانها .